

## الظهورات بين الحقيقة والخيال

سامي حلاق اليسوعي

### ١ - المقدمة: الظاهرة بين الأمس واليوم

تتناقل الألسن وبعض وسائل الإعلام والمنشورات في أيماننا هذه الكثير من الروايات عن حدوث الخوارق والعجائب في المدن والقرى في كل من سورية ولبنان والأردن ومصر. فمن الروايات ما يتناول تمثال العذراء الذي يذرف دمعاً، وصورة أو أيقونة ترشح زيتاً، أو تلك المرأة التي تُخطف بالروح وتلقى الرسائل من السماء... إن هذه الظاهرة ليست جديدة، فالظهورات والرؤى والعجائب والرشوحات والبلاغات والرسائل نالت عبر تاريخ الكنيسة أكان ذلك في الغرب أم في الشرق. فالمسيحي المؤمن، الثابت على الكتب المقدسة، يعترف بوجود الآيات والعجائب. وإنجيل مرقس يخصص أكثر من نصف محتواه لرواية آيات يسوع، إلا أنها آيات تحمل تعليماً وبلاغاً إيمانياً، وتعبر، قبل أي أمر آخر، عن محبة الله للبشر. فالآية لها طابعها الاستثنائي العجائبي، وهذا الطابع يشير إلى عظمة الله وحنانه الخلاق وأمانته لشعبه. والعجائب، في نظر المؤمن، هي من علامات الأزمنة، لا بل تعني أنّ الملكوت قريب وهو ههنا، كما أنّ ما هو مرئي منها، أي العجيب الغريب، هو ثانوي بالنسبة إلى المعنى الدنيوي الذي لا يُدرك إلا بالإيمان.

إنّ الكتب المقدسة نفسها تعلن التحذير التالي: «سيظهر مسحاء دجالون

(٥) كلية الفلسفة اللاهوت اليسوعيّة - باريس.

وأنبياء كذابون، يأتون آيات عظيمة وأعاجيب حتى إنهم يُضَلُّون المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر. فيها إني قد أنبأتكم» (متى ٢٤/٢٤).

ولا شك أن عالم اليوم، وخصوصًا عالمنا الشرقي، الذي يمز بأوضاع صعبة سيئة على الصعيد السياسي، لا بل على الصعيد كافة، يفتش عن طريق للخلاص من الإحباط واليأس، فكانت الردة الدينية أو ما يسمى «بالصحة الإسلامية» إثر سقوط بعض الأنظمة القائمة على إيديولوجيات معينة. وهكذا ارتبطت «الردة الدينية»، وما يتبعها أو يسبقها من قلبي على جميع المستويات، بما هو خارق أو عظيم أو استثنائي. وحيث إن مسيحيي الوطن العربي أقلبات يكاد لا يسمع صوتها، أخذت الردة الدينية عندهم صورة مميزة هي كثرة الأمور العجيبة أو المعجزة التي ذكرناها في أعلاه، وهو ما سنسميه «الظهورات». فكيف نتميز بين ما هو صحيح وخاطئ في تلك الظاهرة؟ وماذا تقول الكنيسة، بل الكنائس، في شأنها؟ ما هو الخطاب اللاهوتي الذي يقود إلى المعرفة الحق في هذا السجال؟.

## ٢ - ثلاثة لهدف واحد

الظهور في عرف المسيحيين حدث غير مألوف من خلاله تتعلم شخصيات سماوية، كالعذراء مريم أو المسيح أو واحد من القديسين ببعض أفراد البشر (مشاهدين) بواسطة النظر أو السمع أو كليهما معًا. وكثيرًا ما يرافق الظهور حوادث معجزة تثبت للعامة، التي لا ترى الظهور ولا تسمعه، أن ما يقوله مُشاهد الظهور صحيح. فالظهور يقوم إذا على ثلاثة عناصر:

الرؤية : وتتم عمومًا في وضوح النهار، يراها المُشاهد وهو منخطف أو في وعيه الكامل.

السمع : يتلقى مُشاهد الظهور رسالة سماوية عليه أن يعلنها حرفيًا.

المعجزة : شفاء من مرض، أو نزول زيت، أو انتشار دخانٍ بخور... يراه جميع الناس ويتبنوا من صحة شهادة مُشاهد الظهور.

ويقل شأن الظهور، وتضعف أهميته حين يغيب واحد من هذه العناصر.

## ٣ - تاريخ الظهورات

### الظهورات في الكتاب المقدس

يخبرنا كتاب العهد القديم أنّ الله كان على اتصال دائم بشعبه من خلال الظهورات. واعتمد آباء الكنيسة على الفصل الثالث من سفر التكوين ليشرحوا سبب هذا الاتصال. فبعد خطيئة آدم، وعد الله البشر بالخلاص. وصار يحضّر شعبًا ويؤدّبه لكي يأتي منه فادي البشر. وكانت الظهورات في العهد القديم عليّة: زيارة الملائكة لإبراهيم، وعمود الغمام في سيناء، أو في الحلم: حلم يعقوب، ويوسف...

وأعظم ظهور لله في تاريخ الخلاص هو تجسّد الابن في يسوع المسيح. هذا هو جوهر إيمان المسيحيين الأوّلين، الذين تابعوا رسالة الناصريّ بعد قيامته، ونشروا تعاليمه في العالم أجمع على أنّها بشرى لجميع الأمم. وكان الربّ يُعين التلاميذ في أثناء تبشيرهم بظهورات كثيرة. فبالظهور عرف بطرس الرسول كيف سيتعرّف مع قائد المائة قرنيليوس (رسل ١٠/٣ - ٨) وتخرّج من السجسج (رسل ١٢/٧ - ١١). وبالظهور اهتدى بولس الطرسوسيّ إلى الدين انسيحيّ وهو في طريقه إلى دمشق (رسل ٩/٣ - ٩). وعيّلّم حنّنيا بهذه الهداية (رسل ٩/١٠). وكانت الظهورات متشرة بين المسيحيين، وكانت الجماعات المسيحيّة الأولى تضمّ أنبياء ينالون إلهامات مساوية تشبه الظهورات (١ قور ١٤/٢٩ - ٣٠).

### أزمة الظهورات في زمن الآباء

لم يمنع تحديد الكتب القانونيّة، التي تكوّن العهد الجديد: الظهورات من الاستمرار. فكتيّب الديداكّي، وهو من أقدم الوثائق المسيحيّة في آداب انسلوك والعقيدة والأسرار ونظام الجماعة المسيحيّة، يشير إلى الظهورات حين يتحدّث عن النبيّ ودوره في الجماعة المسيحيّة. كما اعتمد الأب هرماس على ظهورات نالها، وكانت ذات طابع رؤيويّ، لكي يبحث المسيحيين على التوبة.

وفي سنة ١٧٢٢، دعا كاهن من فريجية اسمه مونتانس إلى تجديد المواهب التي عرفها المسيحيون الأوّلون. وقال بوحى ثالث هو وحي الباراقليط. فدعم بذلك كبرياء الذين ينالون رؤى ويتنبأون، وأُيدَ مطلبهم في سلطة أعلى من سلطة الأساقفة، وصادف موقف مونتانس انتشار إيمان مبالغ فيه بظهورات الشهداء القديسين. فاضطربت الكنيسة، وقلق المسؤولون فيها إذ رأوا الإيمان يتعدّد شيئاً فشيئاً عن روح الإنجيل ويغوص في عالم الخرافات. وقد النبىّ دوره في الجماعة المسيحيّة، وتصلّب موقف الكنيسة من الظهورات.

### واستمرّت الظهورات رغم الحظر

وعلى الرغم من تشدّد الكنيسة في مسألة الظهورات، احتلّت هذه مكانة كبيرة في كتابات الآباء وسيبرهم: القديس غريغوريوس العجائبيّ (٢١٣ - ٢٧٠)، القديسة مريم المصريّة (سيرة كُتبت في القرن السادس)، تيوفيلس (القرن السابع)، يوحنا الدمشقيّ (القرن الثامن). كما نجد في سببر آباء البريّة كثيرًا من الظهورات الإليبيّة أو الشيطانيّة، وكان الرهبان يميّزون إرادة الله من خلالها، ويتقدّمون في حياتهم اذروحيّة بواسطتها، ويعرفون خفايا القلوب. ولسوء الحظّ، فإنّ صحة تاريخيّة روايات الظهورات في ذلك العصر أمر مشكوك فيه، لأنّ كُتّاب سببر القديسين لم يتردّدوا في إضافة ظهورات إلى حياة القديسين ليزيدوا من شأنهم حيث أنّهم أو يدافع من التقوى المبالغ فيها. ولهذا يميل البعض في أيماننا إلى رفض جميع ظهورات الماضي من أساسها معتبرين إياها خيالاً أدبيّاً.

وكان القديس أوغسطينس يؤمن بقيمة الحلم، ويرى أنّ معونة الله الرحيمة تعنّنا به أشياء كثيرة. ومع ذلك، كان يعلن أنّه من الصعب تمييز الإلهامات الحقيقيّة من الكاذبة. وكان موقفه من الظهورات معتدلاً جدّاً، خصوصاً في كتابه الثاني عشر، وهو تعليق على المعنى الحرفي لسفر التكوين. وأثر موقف القديس أوغسطينس هذا في كثير من الأبحاث العنقائيّة التي تناولت موضوع الظهورات منذ العصور الوسطى حتّى يومنا هذا.

## هدنة العصور الوسطى

حين تحدّث عن الظهورات بعد القرن العاشر الميلاديّ، لا بدّ لنا من أن نميّز بين الكنيسة الشرقيّة والكنيسة الغربيّة. فظهورات الكنيسة الشرقيّة استمرّت على ما كانت عليه من قبل دون أيّ تغيير يذكر. وظلّ الناس في كلّ مدينة أو قرية يتحدّثون عن أيقونات عجائيبة «تبخر» وتبكي وتعبس وتبسم، وعن قديسين يظهرن لمرضى فيشفى، أو لسارق فتشّل يده، أو لعابث بالمقدّسات فيصاب بالعمى. ولم تتجاوز أخبار هذه الظهورات أو تأثيراتها حدود المدينة أو الأبرشيّة.

أمّا الكنيسة الغربيّة، فقد شهدت تعيّنًا ملموسًا في مسألة الظهورات، وصار يتجّ عن كلّ ظهور مزار وحبّج أو جماعات مكرّسة. وكما حدث في سير قديسيّ الشرق، فقد بالغ كتّاب حياة القديسين اللاتين في رواياتهم، ونسبوا إلى كثير من الآباء الروحيين أو أصحاب السير الصالحة ظهورات ليزيدوا من شأنهم بين الناس. لكنّ تلاميذ مؤسسي الرهبانيّات حرصوا على أن يعتبروا هذه الظهورات علامات من السماء تساعد القديس على معرفة إرادة الله في حياته لا أكثر، ولم يعيروها اهتمامًا خاصًا، بل كانوا يردونها على أنها مسألة ثانويّة.

## من القرن التاسع عشر حتّى اليوم

تميّز القرن التاسع عشر في أوروبا بكثرة الظهورات. ورُبّما كان هذا بسبب نموّ وسائل الإعلام وسرعة انتشار الأخبار. فعلى سبيل المثال، كان يحدث في فرنسا ظهور واحد كلّ مائة سنة، وفي القرن التاسع عشر حدثت أربعة ظهورات خلال فترة خمسين سنة:

الميدانيّة العجائيبة La médaille miraculeuse ١٨٣٠ .

سيدة الساليت N.D. de la Salette ١٨٤٦ .

سيدة لورد N.D. de Lourdes ١٨٥٨ .

سيدة پونمان N.D. de Pontmain ١٨٧١ .

وفي القرن العشرين، ازداد عدد الظهورات في العالم وبلغ مقدارًا يشير

الرية. فامتعت الكنيسة الكاثوليكية عن الإدلاء برأيها في أتي ظهور ابتداءً من سنة ١٩٣٣، أي بعد موافقتها على ظهوري بُوران Beauraing وبأئره Banneux البلجيكيين. وبلغ عدد الظهورات التي تطلب اليوم من الكنيسة إقرارًا بسلامتها ٢٢٥ ظهورًا، تنتشر في جميع أنحاء العالم. وقد أصدرت الكنيسة ٤٠ حكمًا سلبيًا على ظهورات بدا زينها واضحاً للعيان مثال:

ظهور نيده Necedah (الولايات المتحدة الأمريكية): بسبب خلاف نشب بين مُشاهدة الظهور والكنيسة، انشقت هذه السيدة وأتباعها عن الكنيسة وأُست كيسة منفصلة، بعد أن نالت إيمانًا خلال أحد الظهورات يطلب منها فعل ذلك.

بالمار Palmar (الولايات المتحدة الأمريكية): ظهر المسيح لأعمى منذ مولده وأراه العالم حوله، ووصف الرجل للناس ما رأى فأثار دهشهم. ثم طلب منه المسيح أن يصير مطرانًا. فدفن مالا كثيرًا لأسقف فيتامي فقير، ونال منه هذه الدرجة. ثم طلب منه المسيح أن يكون بابا على الكنيسة الكاثوليكية.

الدائرة السادسة عشرة (باريس): كانت يدا واحد من المستخدمين لدى رجل ثري تنضحان زيتًا كلُّما صُلّي للعدراء. وأعلنت الكنيسة التي ينتمي إليها الثري ومستخدمه في مرسوم بظريكي أن هذه الظاهرة من الله، وأنها درست المسألة من جميع جوانبها ولم تجد فيها غشًا أو تلاعبًا. لكن الشرطة الفرنسية واطبت المراقبة والتقصي حتى كشفت احتيال المستخدم، فسُجن وحُكم عليه بدفع غرامة مادّية. وأعاد جميع الأموال التي ابتزّها من سيده.

ومن بين الأربعين ظهورًا التي رفضتها الكنيسة، خمسة ما زال المؤمنون بها يسألون السلطات الكنسية أن تعيد النظر في قرارها. وهذه الخمسة هي:

كيريزينين Kérisinen (فرنسا): الرسائل التي نقلتها المُشاهدة تعطي العذراء خصلاً وقدرات لا تقال إلا في يسوع. مثال: «سيتم خلاص العالم بقلب مريم المتألم».

سان دميانو San Damiano (إيطاليا): نالت المُشاهدة أموالاً طائلة لبناء

المدينة الوردية بحسب رغبة العذراء، فاستثمرت المال في مشاريع أخرى. كما استغلّ الأصوليون بعض ما جاء في الرسائل للطعن في الكنيسة وإصلاحها بعد المجمع الفاتيكاني الثاني.

الصليب الممجد في دوزوليه Dozulé (فرنسا)، غوارابندان Guarabandal (إسبانيا)، سيّدة الشعوب في أمستردام (هولندا).

#### ٤ - ديانات العالم وظهوراتها

بعد الاستعراض السريع للظهورات عبر التاريخ، لا بد لنا من أن نساءل: هل تحدث الظهورات في المسيحية فقط أم أنها ظاهرة تكثر في جميع الديانات؟ يظن البعض أنّ الظهورات تخصّ المسيحيين فقط، ويعتمد البعض الآخر عليها ليثبت صحّة الإيمان المسيحي، وربّما ليبيّن في الآن نفسه زيف الديانات الأخرى. لكنّه يخفى على الكثيرين أنّ اعتقادات كهذه لا تسيء إلى رسالة المسيحية وحسب، بل تُناقض الإيمان بلامحدودية عمل الله، وشمولية محبته لجميع البشر.

#### في العيد القديم

ففي الكتاب المقدّس، نجد أنّ الله يلهم فرعون بالجماعة التي ستصيب البلاد (ت ١/٤١ - ٣٣)، ويتبع الملاك ثلاث مرّات الكاهن الوثني بلعام عن لعن إسرائيل (عد ٢٢، ٢٣)، كما يرى ملوك بابل كثيراً من الأحلام في شأن إسرائيل ومقدساتها، وفي ما يخصّ المستقبل. ويقرّ العيد القديم صراحةً بأنّ عمل الله يشمل جميع البشر، ولا يخصّ فئة معيّنة من الناس.

#### في مصر القديمة

تخبرنا أوراق البردي أنّ فرعون وكهنة المعابد كانوا على اتصال دائم مع الآلهة، وكانوا يرونها وجهاً لوجه ويتحدّثون معها. فالملكة حتشبوت سمعت الإله آمون يطلب منها أن تشرّ حملة على بلاد الذهب والعمود. وفي قادش، على

ضفاف نهر العاصي، حاصر الحثيون وحلفاؤهم جيش رعمسيس الثاني. فصلّى للإله آمون، وظهر له هذا وشجّعه. وفي الحلم، ظهر الإله هارموخيس للشات ثوتمس وأخبره أنه سيصير ملكًا. وحين جلس هذا على العرش باسم ثوتمس الرابع، أقام مسلةً بالقرب من أبو الهول في الجيزة تذكيرًا لذلك الحلم.

## الديانات الهندية

وفي الهند، نجد في الكتب الفيدية إشارات كثيرة جدًا إلى الرؤى التي يمكن أن ينالها الإنسان تلقائيًا، أو يثيرها من نفسه بتأوله للمهدئات، أو بقيامه بحركات جسدية كالرقص أو الاسترخاء على طريقة اليوغا. وكتب الفيدا نفسها، في نظر الديانات الفيدية، هي مجموعة نصوص أبدية عرفها الآباء من خلال ظهورات سمعية وبصرية نالوها في أثناء صلواتهم.

وفي البوذية، رغم أنها نظام عقلي يخلص به الإنسان نفسه بنفسه من دائرة التجسد المتكرر Réincarnation، تحتل ظهورات بوذا وبوديساتفا مكانة كبيرة في الحياة الروحية. وهذه الظهورات هي رؤى داخلية يكونها الإنسان في نفسه ليزيل أهواءه تدريجيًا، ويهدئ أفكاره، ويصل إلى النيرفانا. والبوذية تؤمن أنّ الظهورات لا تأتي من خارج الإنسان بل من داخله، ومصدرها هو الشخص نفسه. أي أنها حصيلة جهد شخصي بحت. وهكذا، يستطيع اليرغي أن يجلس في غرفة حرارتها تحت الصفر، وهو شبه عارٍ، ويجعل جسده ينضح عرقًا، إذ يتخيّل في داخله أنه يجلس تحت أشعة شمس الصحراء الحارقة.

## الإسلام والظهورات

ويعتمد الدين الإسلامي في جوهره على الظهورات. فقد كان الله يرسل ملائكته جبريل ليلو على محمد النصوص المقدّسة. وبذلك يشبه القرآن كتب الفيدا من حيث إنه مجموعة نصوص مقدّسة أبدية سمعها النبي العربي إبان ظهورات نالها في أثناء تأملاته. ورغم أنّ المسلمين يؤمنون بأنّ محمدًا خاتمة الأنبياء، نجد في التاريخ الإسلامي ظهورات كثيرة. ولو عدنا إلى الأحداث

السياسية في العشر السنوات الأخيرة، نستطيع أن نذكر زيارات الملائكة لآية الله الخميني، وظهور المهدي لجعفر النميري رئيس الجمهورية السوداني قبيل سقوطه عن الحكم، وظهور الرسول العربي لصدام حسين قبيل اشتعال حرب الخليج، وظهور كلمة «الله أكبر» في أثناء صلاة الجمعة حين بدأ عثاسي مدني حركته الإسلامية في الجزائر.

### الديانات البدائية

أما الديانات البدائية، أي تلك التي تؤمن بوجود قوى فوق طبيعية دون أن يكون لها قالبٌ محدّد على نحر الديانات الكبرى، فإنّ الظهورات والمعجزات فيها تتم بحسب رغبة الساحر بعد أن ينال موافقة الجماعة وإيمانها بقدرته على القيام بما هو خارق للطبيعة. وتبيّن الدراسات الأنتروبولوجية الحديثة أنّ إيمان هذه الديانات ليس محض خرافات. فني كلّ قبيلة من قبائل أفريقيا وأمريكا اللاتينية أشخاص يطلق عليهم اسم السحرة. وقد أثبتت المراقبة الموضوعية أنّ لهؤلاء قدرة حقيقية على شفاء المرضى من خلال السحر وبطرق غير علمية.

فقد لاحظ الأب إيريك ده روني اليسوعي الفرنسي، أثناء إقامته في دوالا (الكاميرون)، أنّ السحرة يتصلون بأرواح الأجداد ليحرروا المريض من الشرّ الذي استولى عليه وسبّب له المرض: «أنام: أنام، وأرى، كما في الحلم، حماقات الشر. فأمكت ساكنًا وأحلم... وإذا حضر النور، أشعر بالسعادة، وأرى كيف أعالج المريض، وكيف أصارع روح الشر». وقد تعلّم الأب ده روني فنّ الشفاء هذا، ومارسه، ونجح في شفاء عجل كثيرة من خلال اتّصاله بأرواح الأجداد.

ولاحظ عالم الاجتماع الشهير ليفي شتروس Lévi-Strauss ظاهرة مشابهة عند سحرة قبائل البنود الحمر في القارة الأمريكية: يتّصل الساحر بالأرواح، الحديث مع الأجداد، ومعجزة الشفاء من المرض.

وهكذا نجد أنّ الظهورات موجودة، من حيث الشكل على الأقل، في كثير من الديانات غير المسيحية. ولا تقف المسألة عند هذا الحدّ. فالعلوم النفسية تؤكد بدورها على أنّ المشافي النفسنة تشهد ظواهر مشابهة للظهورات لدى المرضى.

## ٥ - الظهورات والأمراض النفسية

### آراء علم النفس

يصادف علماء النفس في بعض الأحيان أمراضًا عصبية ينتج عنها أمور غريبة مدهشة لا يمكن تفسيرها. وتنبه هذه الأمور عناصر الظهورات الثلاثة: الرؤية والسمع والمعجزة. وقد اصطلح على تسميتها بـ «حالات ما وراء النفس» *Métapsychique*، أي الحالات التي تفوق إدراك علم النفس: التخاطر *Télépathie*، التنبؤ.. وبسبب الغموض الذي يحيط هذه الحالات النفسية، ينقسم علماء النفس إلى فريقين: فريق يعتبرها أمورًا خارجية من إنتاج ما هو في داخل الإنسان، وهي أكثر سمعًا وأرقى من العناصر التي ولدتها، وآخر يعتبرها صورة مشوهة لأمر سامية عليا، فهي تدنُّ وانحطاط.

ومهما يكن الأمر، فإنَّ القديس بولس وكثيرًا من علماء النفس يقسمون الإنسان إلى ثلاثة مستويات: المستوى الجسدي *Niveau somatique*، والمستوى النفسي *Niveau psychique* أو البسيط، والمستوى الروحي *Niveau pneumatique*. والحالة المادية تنبئة تنتج في عملية الانتقال من مستوى إلى آخر، وهي عمومًا الانتقال من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى. فعلاقة الإنسان مع الأشياء هي علاقة مزدوجة تتم بواسطة الحواس والفكر. فالأذن تسمع وتصغي، والعين تنظر وترى. وحين يزور اثنان بناء أثريًا ويشاهدانه جملة وتفصيلاً، يمكن لأحدهما أن لا يشعر إلا أنه في مجموعة حجارة قديمة. أما الآخر، فيرى عظمة الباني وجمال حسه البشري. وحين يكون الفارق في الرؤية كبيرًا، أي حين يرى الواحد - أو يظن أنه يرى - ما لا يشاهده جاره، يقول الجار إنَّ هذه الرؤية هلوسة وحنون. وكذلك الأمر في باقي الحواس.

ومن وجهة النظر السريرية، فإنَّ ظواهر الإعاقات عند بعض الأشخاص، كالمرض العصبي أو الجنون، هي في بعض الأحيان سبب لظواهر مدهشة وغريبة: رؤى، تنبؤ... كأنَّ المرض والهلوسة والجنون تقود هؤلاء الأشخاص إلى درجات عالية من الذكاء والإرادة والحث. ولهذا قيل: «بين العبقرية والجنون شعرة

واحدة». فالجنون يرى في بعض الأحيان شخصاً أمامه فيتحدّث معه. أمّا الناس،  
وإذ يرونه وحيداً، فيقولون إنّه مجنون لأنّه يتحدّث مع نفسه.

### الانخفاف والأمراض العصبية

تحدّثنا منذ قليل عن تقسيم الإنسان إلى مستويات ثلاثة، وقلنا إنّ الانتقال  
من مستوى إلى آخر يرافقه اضطراب وتخلخل. ويظهر هذا في بعض الأحيان  
على شكل انخفاف. فيفقد الشخص كلّ اتصال بالعالم الذي يحيطه، ويبقى  
ساكناً بدون حراك، ولا يعمل في جسمه إلاّ العضلات غير الإرادية.

والانخفاف في نظر المراقبة السريرية هو ظاهرة ثانوية تنتج إثر ظاهرة  
أخرى: رؤية، تأمل، نوع من أنواع التسمّم. فحين أشاهد فيلمًا ويشدّني  
موضوعه، لا أحرك جسمي، ولا أعي لحركة من هم بجانبي. فأنا إذاً في حالة  
انخفاف نسبية. ومن بين الانخفافات المرضية يمكننا أن نذكر:

الحالات السباتية Lethargies والتصلّب Catalepsies: وحما حالتان  
مرضيتان مشابهتان تتميزان بنوم عميق وطويل الأمد، يفقد الإنسان في أثناءه  
القدرة على التحكم بعضلاته الإرادية.

النوم المُفتتل Hypnotique: يرى المريض في لاوعيه صورًا وأشكالاً  
تشغل فكره بكامله. ويمكنه أيضًا أن يسمع أصواتًا أو أن يلمس أجسامًا لا وجود  
لها في الحقيقة.

المشي في النوم Somnambulisme: يستطيع الشخص الذي يمشي في  
نومه - وهي حالة مرضية - أن يؤلّف في بعض الأحيان أشعارًا أو خطابات تفوق  
كثيرًا قدراته الفكرية. ويمكن أن نضمّ إلى هذه الفئة الأشخاص الذين تحت تأثير  
التنويم المغناطيسي. ويعطينا الأستاذ فلورنوا Flournoy مثالاً على ما يمكن  
لمصاب بمرض المشي في أثناء النوم أن يقوم به. فالسيدة هيلين سميث Hélène  
Smith «كانت تتكلّم في نومها، وتكتب، وتروي رؤى. أمّا صحتها فكانت  
ممتازة، وعقلها في كامل اتزانها». وقد وصفت هيلين سميث بلاد الهند وصفًا

دقيقًا في رواية ألفتها بأسلوب أدبي رائع، وهي نائمة، مع أنها كانت ذات ثقافة عادية، ولم تزر الهند قط في حياتها، ولا شاهدت لتلك البلاد صورًا أو سمعت عنها أخبارًا.

تأثير المخدرات Stupéfiants: يفقد متعاطي المخدرات السيطرة على أفعاله الإرادية، كما يفقد الإحساس، ولا يعمل في جسمه إلا العضلات اللاإرادية والخيال. ويعطي الأفيون والحشيش شعورًا بالعظمة، فيكبر حجم الأشياء حتى إن البيت الصغير يبدو قصرًا، وتباطأ الزمن فتصبح الدقيقة عصرًا والساعة دهرًا. وتحول بعض المخدرات المكسيكية الأشياء في نظر المدمن إلى لآلئ براققة. وتثير مادة الأثير في مخيلة بعض الأشخاص رؤى ذات طبيعة تأملية أو فلسفية، فيحلق المرء في الأعالي، ويرى أن حمومه وشكوكه التي كانت تستولي عليه قد تبددت. ويشعر من استنشاق برونوكسيد الآزوت أن حقائق ما وراء الطبيعة قد تجلّت أمامه بوضوح شديد في جميع أبعادها وأعماقها السحيقة.

#### حالات ما وراء النفس: Métapsychique

ما وراء النفس النفسي Métapsychique psychologique: وهو القدرة على إدراك ما تعجز الحواس وقدرات العقل عنه: العلم بما يفكر فيه الآخرون، معرفة أشياء موجودة داخل علب محكمة الإغلاق تخينة الجدران، التنبؤ بحدث سيتم بعد زمن أو في مكان بعيد.

ما وراء النفس المادي Métapsychique matérielle: وهو القدرة على القيام بأعمال يستحيل على الإنسان العادي أن يقوم بها: رفع أو نقل أو رمي أو إخفاء الأشياء دون لمسها، إظهار نور أو شرر أو أشكال بشرية.

وتخبرنا حوثيات جمعية البحث النفسي أنه تم رصد حالات اتصال بين أفراد يعيشون في أماكن متفرقة من العالم دون استعمال وسائل الاتصال المعروفة. وهذا يثبت فكرة أن في الإنسان طاقات كامنة، يتمكن بعض الأشخاص من استخدامها بطريقة أخرى تجعلهم يتصلون بالوانع اتصالاً غير طبيعي. وتأتي قدرة الإنسان على هذا الاستخدام الثانوي من إمكانيات خارقة يمتدح بها، أو من مرض يخل بتوازن جسمه وينقله من مستوى إلى آخر في مستويات الإنسان الثلاثة.

## التنبؤ والوساطة: Prédiction et médium

نتيئًا لبنا قلناه سابقًا عن قدرات النفس، دعونا نرى ما يقوله علم ما وراء النفس في التنبؤ والوساطة.

التنبؤ هو معرفة ما سيتم في المستقبل دون أن يكون ذلك نتيجة منطقيّة لأحداث الحاضر. وللتنبؤ وجهان: إحصائيّ وحتميّ. وقد لاحظ الباحثون وجود حدود للتنبؤ: فالدقّة في سرد التفاصيل تملق عكسا بمعنى الموضوع المتنبأ به وصعوبته، وبقرب حياة الأشخاص من زمن التنبؤ. فالحديث عن مستقبل حياة قد تحقّق جزء منها هو أسهل وأدقّ من الكلام عن حياة لم تبدأ بعد: مستقبل حفيد شابّ أعزب مثلاً. فكلّما تناولت النبوءة حياة بعيدة في الزمن ازدادت الغباشة وشحّت التفاصيل. فمثل القدرة على التنبؤ كمثل الطاقة: يقلّ تأثيرها مع ازدياد المسافة بينها وبين العنصر المتأثر، أو طول زمن تطبيقها. وهذا ما يدعّم فكرة طاقات الإنسان الكامنة التي تمكّنه من القيام بأعمال غير مألوفة في الحياة الطبيعيّة.

الوسيط هو شخص يقوم بأمر عجيبة مذهشة في جلسات تدعى «جلسات ما وراء النفس». وتضمّ أفرادًا قليلين في مكان معيّم أو ذي إضاءة شديدة الانخفاض. وفي هذه الجلسات، يبذل الوسيط قصارى جهده ليتّصّل بالحاضرين ما يرغبونه. وما هذا الجهد إلا محاولة لإطلاق الطاقات الكامنة في النفس. وقد أنت الأستاذ تونكيدك Tonquédéc، ومن بعده كثير من علماء النفس. أنّ جسم الإنسان يرسل موجات تؤثر على الأشخاص الآخرين. فيشعرون بالرهمة أمامه، وبالاتّيح مع ذلك.

ويتضمّن بعض الأشخاص بالقدرة على إرسال موجات مركّزة وقويّة. فيتمّ الاتّصال عن بعد Télépathie، أو تحريك الأشياء دون مسها، أو إظهار رؤى للحاضرين. وتساعد الظلمة أو النور الخافت على حدوث هذه الأمور. ويشير الباحثون في ما وراء الطبيعة أنّ قلة ضئيلة من الناس يستطيعون أن يحصلوا على نتائج جيّدة في وضح النهار. ويستخدم الوسيط في بعض الأحيان شيئًا يركّز انتباهه عليه: كرة من الكريستال، صورة... أو يستسلم إلى الكتابة التلقائيّة.

ويدخل في غيوبة تفاوت في درجتها، وتشبه مراحلها الأولى أحلام اليقظة، وبهذا يتعد بعض الشيء عن الجوّ العام الذي يحيط به.

### التضمير الطبيّة

إذا كان العلم يعجز حتى الآن عن شرح الظواهر الغريبة التي نعدّثنا عنها لنؤنا شرحاً كافياً، فإنه يستطيع على الأقلّ تفسير آليّة حدوثها. فبحسب وجهة النظر الطبيّة، كلّ أمر مزعج يبقى في الذاكرة بسبب تغيّرات فن جسم الإنسان تؤثّر على قواه المتنوّعة: التآثر الشديد من موقف معيّن، الحشاشيّة المفرطة، التعب الجسديّ، كثرة المشاغل الفكرية والجسديّة، جميع أنواع الأمراض، خصوصاً أمراض الجهاز الهضميّ، قلة النوم، سماع الأخبار السيّئة، الثورة والغضب، عسر الهضم. جميع هذه الأمور تولّد اضطرابات نفسيّة كافية لكي يرى المصاب رؤى ويسمع أصواتاً وكأنّ الأمر يحدث فعلاً في العالم المادّي.

ويشرح الأستاذ أوريزون Oraison آليّة هذه الظواهر فيقول:

«يرافق الإحساس المرثي أو السمعيّ تغيّرات كيميائيّة دقيقة Microchimie متفاوتة الشدّة وكثيرة التعقيد لخلايا الطبقة الخارجيّة للدماغ؛ وفي المنطقة البصريّة أو السمعيّة». فالظهورات تتمّ إذا في هذه الخلايا. تحدث هذه التغيّرات الكيميائيّة لأسباب نجهلها، وتؤثّر على خلايا النظر أو السمع، فيترجمها المتخ على أنّها أمور حقيقيّة. وقد بدأ علم الكيمياء الخلويّ والدراسات الحديثة للتأثيرات العصبيّة بفهم هذا النظام. وتبيّن أنّ هناك علاقة بين الحياة العاطفيّة وتولّد هذه السيّالة العصبيّة. وعلى هذا الأساس، فإنّ للاضطرابات التي ذكرناها من قبل دوراً هاماً في ولادة الرؤى وسماع الأصوات من الخيالة.

## ٦ - معنى الظهورات

### التدخل الإلهي في الظهور

بعد الاستعراض السريع للظهورات في الديانات غير المسيحية، وفي مشافي الأمراض النفسية، يتساءل المرء: ما هي مكانة الظهورات المسيحية وخصوصياتها في إيمان الكنيسة وتاريخنا الحديث؟ وهل التشابه بين الظهورات وما يجري عند بعض المرضى النفسيين يعني أصل الظهورات الإلهي؟

تحدثنا في المقدمة عن موقف الأصوليين من الظهورات، ومحاولة استغلالها للبرهان على صحة الإيمان المسيحي وزيف الديانات الأخرى. لقد خفي على هؤلاء المعارض بين فكرة الإله الواحد للكون ككله والخلاص الشامل لجميع البشر الذي وهبنا إياه الابن مع فكرة الخصوصية التي يحاولون نشرها وتدعيمها، باعتقادهم أن الله لا يعمل إلا في جماعة بشرية محدودة وهي الجماعة المسيحية. فالكتاب المقدس في عهده القديم والجديد، لا يكف عن ذكر عمل الله في الوثنيين، وكيف تشمل محبته جميع البشر. ولعل سيرة اهداء قائد المائة فرنيليوس، خير برهان على ذلك (رسل ١٠، ١١).

أما وجود حالات مشابهة للظهورات في العيادات النفسية ودراسات علم ما وراء الطبيعة، فهو دليل على أن الله يستخدم قوانين الطبيعة ليتصل بالإنسان. وحين نقول علم ما وراء الطبيعة، أو ظواهر غير طبيعية، لا نعني بذلك أمورًا تخرق قوانين الطبيعة وتخرج عنها، بل أمورًا تحدث وفقًا لقوانين الطبيعة التي لا نعلم منها حتى الآن إلا الشيء اليسير. هذا ما يؤكد علم النفس حين يقر بأن معرفتنا لقوانين الطبيعة ناقصة وغير كافية لشرح جميع أبعاد النشاط الإنساني. ويعرف علم ما وراء الطبيعة بأنه علم يلاحظ الظواهر التي لم يتوصل العلم بعد إلى شرح ماهيتها ويدرستها. فمثل عمل الله في الظهورات إذا كمثل عمل إنسان القرن العشرين: يسخر الطبيعة ويستثمر ما فيها من غنى ليتج شيئًا جديدًا رائعًا. فمن منا يستطيع أن يقول إن إنتاج الأدوات البلاستيكية تم وفق قوانين خارقة للطبيعة؟ وماذا تظن القبائل البدائية في الأمازون حين ترى طائرة تحلق في السماء

فوقها؟ إنَّ حالنا مع الظهورات كحال تلك القبائل، وحين يُعرف السبب يزول المعجب.

وعلى هذا الأساس، نعرف الظهور على النحو التالي: حين يُفعل الله بالبشر، فإنَّه يستخدم جميع إمكانيات الخيال والذكاء عند الإنسان، خصوصاً حين يكون في حالة انخفاف، أي خارج عالم الواقع، وفي مجال تحوُّل فيه اللاموضوعية Subjectivité إلى موضوعية Objectivité. وهذا التحوُّل طبيعي من حيث الآلية النفسية. لكنَّه يصبح فوق طبيعي بفضل تدفُّق النعمة التي أحدثته، والتي بُثَّت فيه أمرًا لا يمكن للعلم أن يلاحظه لأنَّه من النوع الروحي المحض.

أمر مدهش أو علامة؟

«عندما رشح الزيت من بعض الصور والتماثيل في دار المعجزة، جاءت الناس أفواجا لتعابن ما جرى، واكتنَّظ المكان بالزوار طوال النهار. والآن، بعد مضيّ سنتين على هذا الحدث، فأنتك، حين تذهب لرؤية الصور والتماثيل التي ترشح زيتًا، لا تصادف زائرًا واحدًا بها أو متعبدًا أمامها. إنَّ هذه الشهادة تبين مراحل تأثير الظهورات في الناس. فهي تثير الدهشة والمعجب في البداية. ومع مرور الزمن، يترك الانبهار مكانه لشعور آخر أكثر ثباتًا وأقلَّ تعجُّبًا. وهو أمر تعوَّدنا عليه مع ظهور الاختراعات الحديثة. فبعد أن سهر بها وتشغل كلَّ تفكيرنا، تتعوَّد عليها ونجد لها مكانًا صغيرًا في حياتنا اليومية. وتبقى على هذا النحو إلى الأبد.

لَمْ يَسْمُ الْإِنْجِيلِيُّونَ الْأَعْمَالُ عِبرَ النَّصِيبَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا يَسُوعُ أَعَاجِيبَ، بَلْ أُطْلِقُوا عَلَيْهَا اسْمَ عِلَامَاتٍ Sémeia أو أعمال Erga، لِيَجْهَرُوا الْقَارِئُ إِلَى أَنَّ الْمَعْجَزَةَ هِيَ عِلَامَةٌ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ حَدَثًا عَجِيبًا. وَحِينَ جَاءَ الشَّيْطَانُ لِيَجْرُبَ يَسُوعَ فِي الْبِرِّيَّةِ (مَثَّى ٤/١ - ١١)، لَمْ يَهَاجِمْ قُدْرَةَ يَسُوعَ عَلَى اجْتِرَاحِ الْمَعْجَزَاتِ، بَلْ حَاولَ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْقُدْرَةِ لِيَقُومَ بِمَا هُوَ مَدْهَشٌ وَعَجِيبٌ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَسْتَخْدِمَهَا عِلَامَةً لِحُضُورِ الْمَلَكُوتِ. وَيَشِيرُ مَثَّى الْإِنْجِيلِيُّ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ

كانت تتكرر بعد كل معجزة يقوم بها يسوع، حين يحاول الشعب أن ينادي به ملكًا. حتى إنه امتنع عن القيام بالمعجزات في أواخر أيام حياته، وكان يُرَبِّب الذين يتبعونه من أجل المعجزات التي يقوم بها لا من أجل تعاليمه.

وإذا كان جوهر المعجزة هو العلامة التي على المؤمن أن يلاحظها، فإن هذا لا يعني بأي شكل من الأشكال عدم أهمية الدهشة والانبهار في شفاء مقعد، أو إقامة ميت، أو تكثير خبز. ولكنّه يتوجب علينا أن نعرف جيدًا طبيعة ذلك الأمر المدهش وغايته، وهل جرى الحدث لأجل الدهشة فقط أم إنه علامة أرسلها الله لنا ويتظر منا الجواب. فالقديس أوغسطينس يقول في هذا الصدد: «إن معجزات يسوع هي ظهورات مرئية لِمَا هو غير مرئي». ولهذا كان يسوع يربط بين المرئي وغير المرئي، بين المدهش والعلامة. فحين شفى الأعمى تكلم عمن لهم عيون ولا يرون (يو ٩/٣٩ - ٤٠) وحين كثر الخبز تكلم عن خبز الحياة (يو ٦). ولعل أكثر المعجزات برهانا على ذلك الربط هي شفاء المقعد في كثرناحوم (مر ١/٢ - ١١). فحين شفى يسوع النفس: «يا بُني، تُغَيِّرَت لك خطاياك»، لم يؤمن الشعب بهذا الشفاء وطلب علامة. فقال يسوع: «قم فاحمل فراشك واذهب إلى بيتك».

فالظهورات المسيحية إذا، ورغم كل ما يحدث فيها من أمور عجيبة مدهشة، هي علامات على المؤمنين أن يفهموها. ولا يكون للظهورات قيمة أو معنى دون ذلك.

## ٧ - الظهورات وتعليم الكنيسة

من أوغسطينس إلى توما الأكويني

على الرغم من حذر القديس أوغسطينس ومواقفه المحافظة في شأن الظهورات، استمر فهم المؤمنين لِمَا هو فوق الطبيعة في الازدياد. وقد أثر هذا الأمر في التعليم المسيحي وبيير القديسين تأثيرًا بالغًا. وفي أيام الآباء المدرسيين (السكولاستيك)، نجد القديس توما الأكويني يخصص، مثل سائر معلّمي

الكنيسة في عصره، عدّة صفحات لمعالجة موضوع الظهورات في كتابه «الخلاصة اللاهوتيّة». وقامت فكرته الأساسيّة على أنّ الرسائل التي ينالها بعض الأفراد في انخطافاتهم لا تزيد أيّ حقيقة على الرّوح الكناينيّ، لأنّ يسوع أتمّ الكتب وكشف لنا كلّ شيء. ورسائل الظهورات هي توصيات لممارسة بعض الأعمال التقويّة لتقدّم حياة المؤمن الروحيّة وخلص نفسه. ويمكن للإنسان أن يخضع لهذه التوصيات إذا رأى أنّها مفيدة له. ويكون خضوعه لها إنسانيّاً، أيّ أنّه يكون باختياره ولا يجبر به جميع المؤمنين.

### عصر الإصلاح البروتستانتيّ

تميّزت نهاية العصور الوسطى بنمّو حركات تقويّة، خصوصاً في إسبانيا، ثمّوا سريعاً. واستفاد زعماء هذه الحركات من انتشار الجهل والاضطرابات لينشروا رؤاهم الأخريريّة Eschatologiques، فأثاروا قلق السلطات الكنسيّة. وفي مجمع لاتران Latran الذي عقد سنة ١٥١٦، أصدر الأساقفة الوثيقة الثالثة لتنظيم مراقبة الظهورات:

«نريد منذ الآن، وبحسب القانون العاديّ، أن يُحفظ حقّ البتّ في أمر الإلهامات للكرسيّ الرسوليّ، قبل نشرها أو إعلانها للمؤمنين. وإذا لم يكن الانتظار ممكناً، أو أملت الضرورة الملحة القيام بشيء مخالف، تحوّل المسألة إلى الأسقف المحليّ... فيجتمع هذا مع ثلاثة أو أربعة أشخاص ضليعين في شؤون العقيدة، ويدرس معهم هذه المسألة دراسة دقيقة. فإذا رأوا أنّ ما بين أيديهم مناسباً، ونحن نعتد في هذا على ضميرهم، يستطيعون أن يمنحوا الموافقة».

ورغم أهميّة هذه الوثيقة، إلّا أنّها جاءت متأخرة جدّاً. فقد كان لوثر يدرّس الكتاب المقدّس في جامعة فيتنبيرغ Wittenberg، ويحضّر احتياجاته الخمسة والتسعين التي ستولّد الانشقاق في الكنيسة. ففحت شعار «الكتاب المقدّس فقط Sola Scriptura»، انتقد لوثر بشدّة الرّؤى والظهورات المنتشرة في عصره، وأشار إلى انحراف الإيمان الذي حدث بسببها: «الآن، وقد صارت الكتب المقدّسة لدينا، لم يعد هناك شيء آخر يكشف لنا. فنحن لسنا بحاجة إلى

إلهام يُضاف إلى ما كتبه الرسل... فلتتمسك بشارة الروح القدس وإلهامه، لأنه الوحيد الذي يقول لنا ما علينا أن نعرفه».

وكان للمتصوّفين الإسبان موقفٌ مشابه من حيث التشدّد تجاه الظهورات. فيرحّأ الصليب، الذي عاش في القرن نفسه، رفض رفضًا شديدًا أن تُعتبر كتاباته إلهامات: «لأنه أعطانا ابنه وهو كلمته الوحيدة... وأخيرنا وكشف لنا جميع الأمور مرّة واحدة في كلمته، ولم يتكلّم مرّة أخرى... وبالتّيجة، من أراد محادثة الله اليوم، أو طلب منه رؤية أو إلهامًا، فإنّه لا يرتكب حماقة فقط، بل يهين الله، لأنه كفّ عن تبييت نظره في يسوع، وأراد شيئًا آخر جديدًا». ويبالغ القديس بريحًا الصليبي في تشدّده، في الفصل السابع والعشرين من كتابه المُعتمَد الصعود إلى الكرمل، ويطلب من المؤمن أن لا يكتفي برفض هذا النوع من الإلهامات، بل أن يقاومها حين يشعر بها في نفسه.

وأذت حركة الإصلاح البروتستانتي إلى ظيهور تيار كاثوليكي متعصب، بالغ في ذكر الظهورات. فكثرت العصور العجائبيّة، وأخبار المعجزات والرسائل السماويّة. وخافت السلطات الكنسيّة على الإيمان من الانحراف، وأعدت في المجمع التريدينيني ما سنّته من شرائع للظهورات في المجمع اللاتراني، وأضافت: ولا تُقبل أيّ معجزة جديدة بدون اعتراف الأسقف بها وموافقة عليها. فهو حين يعلم بحدوثها، يستشير اللاهوتيّين وأشخاصًا آخرين من الأنقياء، ويقوم بما يراه موافقًا للحقيقة والتّوى. وإذا اضطرّ الأمر إلى استعمال ممارسة شاذّة مشكوك في أمرها، أو إذا طرّحت بعض المسائل الخطرة في القضية المدروسة، على الأسقف أن يتضرر رأي رئيس الأساقفة وباقي الأساقفة من أعضاء المجمع الإقليمي، قبل أن يعلن رده على المسألة. ولا يتمّ إقرار أيّ جديد دون العودة إلى الكرسي الرسوليّ».

ونلاحظ هنا أنّ موقف الكنيسة من الظهورات تغرّ تغيرًا كبيرًا في الفترة القصيرة التي تفصل مجتمعي لاتران وترانت. وربما كان ذلك بسبب الانشقاق البروتستانتي وانتقادات المنشقين لبعض أنواع العبادات التّقويّة. ويمكننا أن نحصر هذه التغيّرات في نقاط ثلاث:

١ - إهتمّ مجمع لاتران بتنظيم مسألة الإلهامات، بينما شغلت المعجزات مجمع ترانت.

- ٢ - لم يرذ ذكر للحالات الاضطرارية في الوثيقة الثانية.
- ٣ - أوصت الوثيقة الأولى بإرسال جميع القضايا إلى الكرسي الرسولي، ولا يتأسقف في الأمر إلا في حالات الضرورة القصوى. أما الوثيقة الثانية فقد سلكت طريقاً عكسياً.

### الوثائق الجمعية والبابوية

في القرن السابع عشر، اقتفى الباحثون في الروحانيات أثر المتصوفين الإسبان، وصنّفوا الظهورات على أنّها ظواهر ثانوية في التصوف. كما تنادى اللاهوتيون الحديث عنها، ولم يذكروها إلا عرضاً في كلامهم عن الإيمان والنبوة. ولكن انتقادات البيروتسانت الشديدة أجبرتهم على معالجة موضوع الظهورات من أجل وضع قواعد لتمييز الصالح فيها عن الفاسد. ومن بين المقالات الكثيرة التي تناولت هذا الموضوع، انتشرت ثلاث منها انتشاراً واسعاً، وكتّابها هم: دومينيك غرايّا Dominique Gravina الدومينيكاني (نابولي ١٦٣٨)، وأوسايوس أمور Eusèbe Amort الأوغسطيني (أوغسبورغ ١٧٤٤)، والأب نيقولا لتفليه - دوفرنوا Abbé Nicolas Lenglet - Dufresnoy (باريس ١٧٥١).

وأهمّ مقالة عن الظهورات في ذلك العصر كانت للقانوني لوران لامبريني Laurent Lambertini الذي صار في ما بعد البابا بنديكتس الرابع عشر (١٧٦٩ - ١٧٧٤). وقد وردت هذه المقالة في كتابه في تطويب خدام الله *(De servorum Dei beatificatione et beatorum canonisatione)*:

«إنّ موافقة الكنيسة على ظهور ما تعني فقط إعطاء الإذن، بعد فحص دقيق، في نشر هذا الظهور لتثقيف المؤمنين وقائدتهم. ورغم موافقة الكنيسة، علينا أن لا نقبل هذه الظهورات كما تقبل الإيمان الكاثوليكي، بل أن نقبلها قبول إيمان بشري، بحسب ما يملية علينا واجب الحذر، وبحسب احتمالات هذه الظهورات التي يمكن للتقوى أن تؤمن بها.

... وفي النتيجة، يحقّ لنا أن نرفض هذه الظهورات، وأن نتعد عنها، شرط أن يتم ذلك بتواضع مناسب لأسباب فاضلة، وبدون احتقار».

وتعتبر هذه الوثيقة من أهم ما كُتِبَ في الظهورات، لأنَّ المكانة القانونية التي حدَّدها الأب لاميرتيني للظهور بقيت كما هي حتى يومنا هذا. فالمسألة لم تعد: من له السلطان للبتِّ في كون ظهورٍ ما من مصدر إلهي أم لا، بل: ما هي مكانة الظهورات في الإيمان المسيحي. وهنا يمكننا أن نشيد بجرأة الأب لاميرتيني ووضوحه. فقد ميَّز بين نوعين من الإيمان: واحد لا يمكن للإنسان أن يكون مسيحيًا بدونه: وهو الإيمان بأنَّ المسيح هو ابن الله، والإيمان بعقيدة الثالوث، وبالنجس، بالفداء... وقد أطلق عليه اسم الإيمان الكاثوليكي، وهو تعبير يكافئ في أيامنا ما نسميه الإيمان المسيحي. وآخر يمكن للفرد أن يكون مسيحيًا بدونه، لكنّه مفيد للحياة الروحية: وهو الساعات، وصلاة المسبحة، والتبرُّك من الصور الدينية... ومناه الإيمان البشري. وصنَّف الظهورات مع الإيمان البشري لأنّه لا يمكنها أن تضيف شيئًا جديدًا على ما أعله الإنجيل، بل تقترح أفعالًا تقويّة وصلوات من شأنها أن تساعد المؤمن في حياته الروحية. وبهذا أكّد الأب لاميرتيني ما قاله القديسون أوغسطينس وتوما الأكويني ولوثر، وصاغه في نصِّ قانونيٍّ رعيٍّ واضح.

وفي السادس من شهر شباط (فبراير) ١٨٧٥، أي بعد حوالي قرن من الزمن، جاء ذكر الظهورات في ردِّ لمجمع الطقوس Congrégation des Rites على استشارة طلبها رئيس أساقفة سانتياغو في الشيلي بشأن سيّدة الرحمة Notre-Dame de la Merci. وجاء في الردّ:

«لا يقتر الكرمسي الرسوليّ الإلهامات أو الظهورات ولا يدينها، ولكنّه يسمح فقط بالإيمان بها تقويًا وإيمان بشريّ، وفقًا لما ترويه شهادات أهل الثقة وتؤكدّه».

كما أعطي ردّ مماثل في الثاني عشر من شهر أيار (مايو) ١٨٧٧، للأساقفة الذين طلبوا من الكرمسي الرسوليّ إقرارًا رسميًّا بظهورات لورد Lourdes والساليت La Salette. وفي الثامن من شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٠٧، ذكّر البابا بيوس العاشر في رسالته الجامعة Pascendi بموقف الكنيسة من الظهورات: «وفي ما يختصّ بالتقاليد التقويّة، فإنّ الكنيسة تمنع منعًا باتًّا، من باب الحذر، أن تُروى

هذه التقاليد في كتب عامة دون أخذ الاحتياطات اللازمة... كما أنّ الكنيسة لا تضمن؛ حتّى في هذه الحالة، صحّة ما يُروى، ولكتّابها لا تمنع الإيمان بها إذا لم يتعارض مع دوافع الإيمان البشري». وقد قصد البابا بكلمة «التقاليد التقويّة» جميع الروايات الملحميّة التي كانت تروى عن القديسين والظهورات، كالقديس جاورجيس حين قتل الثّنين، وظهور مار الياس على سارق الدير ليشلّ له يد...

نلاحظ في هذه الرسالة الجامعة وجود عنصرين جديدين في موقف الكنيسة من الظهورات:

- ١ - لا تضمن الكنيسة حقيقة حدوث الظهور رغم موافقتها عليه.
- ٢ - للظهورات في الإيمان المسيحي دور يمثّل دور الذخائر والأيقونات والممارسات التقويّة.

وفي الثامن عشر من شهر شباط (فبراير) ١٩٥٩، أعطى البابا يوحنا الثالث والعشرين خلاصة نظرة الكنيسة إلى الظهورات في خطاب ألقاه لمناسبة العيد الثبوتي لظهورات لورد. وراعى البابا في كلمته الحساسيات المختلفة في هذا الموضوع، وحاول أن يحدّ حلاًّ وسطاً يرضي المؤيدين والمعارضين:

إنّ البنايات قد أخذوا على أنفسهم أن ينصحوا المؤمنين بالانتباه - إذا رأوا بعد دراسة وعية أنّ هذا يناسب الخير العام - إلى الأنوار الفرق الطبيعيّة *Lumières surnaturelles* التي راق الله أن يخصّ بها بعض النفوس المختارة، لا ليعس عقيدة حميدة وبل ليقود مسيرتنا». وقد جاء هذا الإعلان بعد بداية إرهابات الثورة عند مؤيدي الظهورات، بسبب صمت الكنيسة الطويل، وعدم إدلائها رأي في ما يختصّ بكثيرٍ من الظهورات التي حدثت بعد سنة ١٩٣٣.

## علوم اللاهوت والظهورات

اللاهوت العقائدي يعرف الظهورات بأنّها زينة لا ضرورة لها، أو خيالات مجانية فانية. ويرى هذا اللاهوت أنّه يستحيل الاعتماد على الظهورات لإعلان عقيدة من العقائد أو تبريرها.

اللاهوت الأساسي يضع الظهورات في آخر القائمة، وكثيراً ما يهملها. ملكيور كانو Melchior Cano لا يذكرها من بين المجالات اللاهوتية العشرة الأساسية ولا حتى من بين المجالات الثانوية الملحقه كالفلسفة والحقوق والتاريخ.

اللاهوت الكتابي لا يمكنه أن يقارن بين الرحي الإلهي المدون في الكتاب المقدس والإيحاءات اللاحقة التي ينالها بعض المسيحيين في الظهورات. ويجبر تحديد الكتب المقدسة دارسي الكتاب المقدس على إهمال جميع النصوص الأخرى، سواء أكانت سابقة أم لاحقة لعصر الكنيسة الرسولية.

اللاهوت الأدبي ابتعد عن هذا المضمار البهيم الغامض رغم أن أثر الظهورات على سلوك الناس موضوع بحثه. وسبب ابتعاده هو أن الرسائل التي يتلقاها المشاهد تأتي بشكل أوامر للقيام بسلوك معين: صوم، صلاة السبحة... وها من شأنه أن يجمد الأحكام الأخلاقية ويحول مسؤولية المؤمن إلى مجموعة واجبات عليه تطبيقها حرفياً.

اللاهوت التصوّفي يخلص لتعاليم التدبّس يوحنا الصليبي، ويحذّر من الظهورات ويعبرها ظواهر ثانوية وقتية فانية. وتاريخ اللاهوت التصوّفي هو تاريخ خفض قيمة الظهورات، ولو نظرياً، ورفع قيمة التأمل الفطري الصافي غير النبوي.

اللاهوت الروحي يحذّر من المواهب الاستثنائية التي قد تولّد أناجيل جديدة أو عنصرات أخرى، والتي تعسّر فهم كلام الله بإلهاماتها المليئة بالألغاز.

القانون الكنسي يعالج الظهورات من وجهة نظر محدودة وسليمة. فالقوانين لا تنهت إلا بتحديد الظهورات الكاذبة والحرم التي تستوجبها.

اللاهوت المريمي مثل جميع التيارات اللاهوتية، لا يستطيع أن يني تفكيره على أساس عقلي منطقي. ولما كانت هناك شكوك في المصدر الإلهي للظهور، فإن هذه تجعله خارج حقل أي تفكير لاهوتي. وبذلك تنقسم الكتب المريمية إلى قسمين: الأول لاهوتي مؤسس على الكتاب المقدس والثاني هو مجموعة كتب صلاة وتقوى لإكرام مريم.

## ٨ = ضرورة الظهورات ومشاكلها

### لا للأنبياء الأُميين

تعترف الكنيسة بأن الله يربِّجُه بواسطة فُدَيْسِيه إلهامًا خاصًا إلى إنسان أو مجموعة بشر. وهذا الإلهام الخاص لا يصلح إلا في زمان ومكان معيَّنين، وهدفه دعوة الناس إلى التوبة أو تجديد حياتهم الروحية. وفي الوقت نفسه، يؤكد اللاهوت على أنَّ الوحي الإلهي قد انتهى مع موت آخر التلاميذ، وأنه لا حاجة للحصول على وحي إضافي. لذلك، وإزالة التعارض بين هاتين الفكرتين، تمَّ الإقرار على أنَّ الإلهام الخاص الذي يناله الإنسان من الظهورات، لا يكون له معنى أو شرعية إلا إذا توافق مع الكتاب المقدس. ولكن قولاً كهذا يفترض أننا نعرف كلام الكتب بجميع أبعاده ومعانيه بحيث نستطيع أن نقرِّر الإلهام الصحيح من المزيف. ولو كانت لدينا معرفة كهذه، فما حاجتنا إلى الإلهام الخاص؟ ولماذا يرسل الله ذلك الإلهام؟

ما زالت هذه التساؤلات مطروحة دون جواب مقنع. فاللاهوت يفرض شروطه وقوانينه على جميع ما يقال في الكنيسة، ويضيق الخناق ما استطاع على الرحم التي تولد الأنبياء، أي على من ينعم الله عليهم بالهوامات خاصة تجعلهم يعرفون الكتب المقدسة معرفة عميقة. ولدينا في سيرة القديس إغناطيوس ده لويولا خير دليل على ذلك. فحين صاغ إغناطيوس سيرته الروحية في كتاب الرياضات وحاول نشرها، عارضته محاكم التفتيش. وكانت أوَّل حجة لها أنه لم يدرس اللاهوت. ومُنِع إغناطيوس عن نشر رياضاته بسبب ذلك رغم أنَّ محاكم التفتيش لم تجد فينا ما يتعارض مع الإيمان.

### لا كرامة لنبِي في الكنيسة

نحن نعلم أنَّ جوهر إيمان اليهود موجود في كتب التوراة. ولم يكن الأنبياء الذين أتوا بعد ذلك وتكلَّموا باسم الربِّ يدعون أنهم يعلنون شيئًا جديدًا، بل كانوا يعلنون المعرفة الصحيحة والعميقة لِمَا هو موجود، أي للتوراة. فكان هدف

رسالة النبي تقويم سلوك الشعب ليعيش في المهد الذي عقده أجداده مع الله، ويجدده هو وأبناؤه. فعمل النبي إذاً هو عمل تأوين Actualisation، أي أنه يعيد ما ورد في التوراة بكلام معاصر. ومن هذا المنطلق قال يسوع إنه لم يأت لينقض بل ليتمم. وما كانت تعاليم المسيح سوى كشف عن هويّة الله وصورة الإنسان الحقيقيين في التوراة. وبعد قيامة يسوع، قام الرسل بدور الأنبياء، وأعلنوا البشارة إلى الشعوب، كلٌّ بحسب ثقافته. وخلف آباء الكنيسة الرسل، وتسلّموا منهم زمام الأمور، وظهرت تيارات لاهوتيّة متنوّعة، ومدارس متخصصة، وشيخاً فشيخاً، وبسبب التطرّف والهرطقات، أغلقت اللاهوتيّون الباب أمام كلّ معرفة للكناز المقدّس لم يسبقها جهد فكريّ ودراسة. وبذلك، تحوّل الروح القدس من ربح تهبّ حيث تشاء إلى هواء يولّده مكيف ويضخّه عبر قنوات محكمة الإغلاق ليوصله أحياناً إلى حيث لا يشاء.

### الظهورات ضرورة إنسانيّة

منذ أن وعى الإنسان إلى وجوده وهو لا يكفّ عن السعي نحو المطلق وتخطّي محدوديّته. فهو يشعر في قرارة نفسه أنّ كيانه لا يقتصر على ذلك الوجود المادّي التاريخيّ البقائي، وأنّ فيه شيئاً يجعله يسمو على ما في الطبيعة من مخلوقات. ولذلك، صنع الإنسان آليّة ليعبر من خلالها عن المطلق الذي يصبر إليه، ووضع لها طقوساً وعبادات ليتقرّب ما أمكنه من هذا المطلق. ويؤكد علماء الأنثروبولوجيا أنّ الإنسان بطبيعته تّزاق إلى الخروج من ذاته والسعي نحو المطلق. وهذا يؤكد قول القديس أوغسطينس: «خلقتنا لك يا رب، وقلبتنا لن يرتاح إلّا إذا استقرّ فيك».

لقد لبّى الله شوق الإنسان للقاءه، فوجد وصر إنساناً. ولكي يبقى حدث التجسّد حاضراً، ويدوم فرح البشر بوجود الله بينهم، ظهرت الكنيسة والأسرار التي هي علامة حضور المسيح في عالمنا. فالأسرار، خصوصاً سرّ القربان المقدّس، هي إشباع لرغبة الإنسان في لقاء ربه. لكن هذا الإشباع فقد معناه منذ زمن بعيد، في كنيسة غاص لاهوتها في بحر العقلانيّة، وتحوّل منبر الوعظ فيها

إلى مجلس جدالات مجرّدة. وصار رعاتها مديرين يسوسون أملاكها لجني أكبر كسبٍ ربح ممكنة. وهكذا، ظهرت الهوة بين تعاليم الكنيسة وطقوسها وبين إيمان الشعب. لهذا نرى أنّ الظهورات لا تنتشر إلاّ في الأوساط الشعبيّة التي لا تفهم شروحات اللاهوتيين العقلانيّة، وأنّ غالبية مُشاهديّ الظهورات نساء أو أطفال، أيّ أشخاص قادرين على إقامة علاقة حبّ عاطفيّ من القلب مع إليهم وخالقهم. ولا عجب إذا كانت العذراء هي الشخصيّة التي تظهر في غالب الأحيان، لأنّها رغم المبالغة في إكرامها وتقريبها من الألوهة، ظلّت إنسانة وأمّاً، قريبة من البشر وبعيدة عن تحليلات اللاهوتيين والفلاسفة ودراساتهم المجرّدة، فالظهورات في كثير من الأحيان صرخة استياء في وجه مؤسسة لا تعبأ إدارتها باحتياجات أعضائها.

والظهورات علامة لحضور الله يتنا، وهي وسيلة روحيّة يمكنها أن تساعد نفوس الشعب البسيط على التقرب إلى الله والارتواء منه. فهي لا تضيف شيئاً إلى وحي الإنجيل، ولكنّها تزوّن بطريقتها تعاليم المسيح. وهي لا تقود الإنسان إلى الإيمان كما يظنّ البعض، بل تفترض الإيمان لتصدقها والتسليم بها. وهذا الإيمان هو إيمان بشريّ، أيّ يمكن للمرء أن يكون مسيحياً كاملاً بدونه. لأنّه لو لم يكن الأمر كذلك، فإنّ وجود الظهورات سيحوّل إلى برهان يؤكّد صحة الدين المسيحيّ، وكأنّ مضمون هذا الدين لا يقوم بذاته، وهو من الركائز بحيث إنّه يحتاج إلى دعومات لاحقة تثبته.

وعلى كلّ حال، فإنّ ما عرضناه في شأن الديانات البدائيّة يبيّن أنّ للشعب دوراً هاماً في تحديد منشأ الظهور. فكما أنّ سحرة القبائل يتالون قدرة على شفاء المرضى حين يؤمن الشعب أنّ لهم هذه القدرة، كذلك يصير مصدر الظهور إليّنا حين يؤمن الشعب، ويتجدّد في حياته الروحيّة. فنحن نعلم أنّ الله لا يخلع على محبيه بالنعم. ومثل الشعب المؤمن بالظهور كمثل العذراء التي آمنّت فتجدد ابن الله في أحشائها. من ممّا يستطيع أن يعزّي ظهوراً آثار موجة من التجدّد الروحيّ إلى الشيطان؟ ومن ممّا لا يؤمن أنّه حين يصلّي يسمعه الله، وحين يتأمل فإنّ الله يكلمه؟ فإذا كان حالنا نحن الأفراد هكذا فما بالنا في جماعة تؤمن بوجود الله

بينها، وبحضوره الحقيقي؟ الظهور هو علامة مركزة لحضور الله تخفي وراءها نعمة أعمق بكثير من مسألة سيلان زيت أو شفاء من مرض. ومن واجب المؤمنين أن يشدّدوا على هذه العلامات وأن يتعدوا ما استطاعوا عن الوجه المعجزّي للظهور لأنّه قشور لا علاقة لها بالجوهر.

## ٩ - كيف تكشف الظهورات المزيّفة

### مصادر الإلهام الثلاثة

إنّ أوّل قاعدة في تمييز الإلهامات بعد أيام الرسل وردت في كتاب الديداعي (القرن الثاني الميلادي). ويقول الكتاب في سياق الحديث عن الأنبياء داخل الجماعة المسيحيّة: «لا يكون الإنسان الذي يتكلّم بإلهام من الروح القدس نبيا إلا إذا عاش متشبّها بالمسيح. فنحن نتميّز إذا الأنبياء الحقيقيين من المزيّفين من خلال طريقة حياتهم. فكلّ نبي يدعو إلى إقامة وليمة بإلهام من الروح القدس يمتنع عن الأكل منها، والأكل كان نبيا كاذبا. وعلى العكس، كلّ نبي ثبت صدقه، ويعمل في سبيل سرّ الكنيسة في العالم، ولا يعلم الناس بأن يقتنوا به، لن يُحكّم عليه عندكم لأنّ محاكمته هي عند الله».

وفي القرن الثالث الميلاديّ، عالج أوريجانس الإسكندريّ موضوع الإلهامات. ويعود إليه الفضل في تحديد مصادرها الثلاثة: «الأفكار التي تنوّد في قلبنا... تأتي أحيانا منّا، وأحيانا تنيرها قوى الشرّ فينا، وأحيانا يرسلها الله أو ملائكته لنا».

وفي القرن الرابع، أعاد يوحنا كشيانس ما قاله أوريجانس في صيغة مشابهة: «علينا أن نعرف قبل كلّ شيء أنّ هناك مبادئ ثلاثة يمكن لأفكارنا أن تتبع منها وهي: الله، والشيطان، ونحن».

ودخلت نظريّة المصادر الثلاثة للإلهام في عالم النسيان مدّة قرون كثيرة. لكن الطبّ النفسي أعادها إلى الذاكرة ومبثها بدراماته المتنوّعة. واليوم، تقرّر الكنيسة الكاثوليكيّة بأنّ للإلهام مصادر ثلاثة يختلط بعضها ببعض أحيانا وفق

يتكلم الشخص في أثناء الانخراط. لأنه في هذه الحالة، لا يفقد الإنسان السيطرة على حواسه فقداناً كاملاً. فعمل الله في نفس الإنسان يشبه الحجرة التي تسقط في الماء. ومع أن السقوط لا يستغرق إلا أجزاء من الثانية، تبقى هناك أمواج تتولد من نقطة السقوط وتُشع ثم تتلاشى. وهكذا، لا يتوقف الاضطراب الذي ولّده التدخّل الإلهي في النفس فجأة مع نهاية الفعل الذي أحدثه، بل يستمرّ وكأنّ النفس ما زالت تستقبل أشياء، ولكنها في الحقيقة ليست إلا أمواجاً إنسانيةٍ صرف.

٤ - تأثير الحالة النفسية ليمن ينال الرؤى وثقافته. ولهذا الأمر وجهان:

أ - تأثير الرغبات: إذا كان الشخص يتوق إلى تحقيق مشروع ما ويرغب بشدة في أن ينال ظهوراً يدعم مشروعه. فكاترين لا بوريه Catherine Labouré تنبأت عن أمور صحيحة (مجازر سنة ١٨٧٠) لكنها تعدّلت أيضاً عن أشياء لم تحدث. فقالت لمرشدها: «حسناً، لقد أخطأت. ظننت أنني قلت لك شيئاً صحيحاً. وأنا مرتاحة لأن تُعرّف الحقيقة».

ب - الأفكار المسبقة عن العقيدة والتاريخ، وتذكّر ما أثر في نفس من ينال الرؤى من قصص وأحاديث. وهكذا نستطيع أن نسمع إيقاع الليترجية الشرقية في الإلهامات التي يتحدث الناس عنها في شرقنا، وإذا نالت راجبة إلهامات فإننا نلمس في ما نالت روحانية رهبانية.

د - صعوبة التعبير بالكلمات عما ناله الشخص من يقم في أثناء الظهور. فالتعبير الكلامي يشوّه بدون شك الحقيقة المكشوفة. وزيادة على ذلك، كثيراً ما يضيف من يدون الظهور وشهادة المشاهد عبارات من عنده من أجل التوضيح.

### دور المرشد الروحي

ذكرنا مفصلاً اختلاط الأمور في الظهورات، وكيف يمكن لأهواء النفس وميولها أن تشوّه بعض الشيء الرسالة المساوية. ولذلك، وجب على من يخصّه الله بنعم مميّزة أن يكون لديه مرشد يفتح له قلبه ويخبره بجميع ما يحدث في نفسه من مشاعر وتغيرات. وعلى المرشد أن يكون ذا خبرة واسعة وحلم ويتمتع

بمعنى الرؤية وسداد الرأي. وهذا الأمر نعمة من الله لا تتوافر بالضرورة عند جميع الكهنة. لذلك من واجب الكاهن غير المؤهل لمراقبة نفس كهذه أن يوكل المهمة إلى شخص آخر، بدلاً من تركب أخطاء تؤدي إلى نتائج سلبية.

ومن القواعد الواجب اتباعها في إرشاد من يتلقى رؤى سماوية والتهامات:

١ - أن يبدي المرشد صرامة وتشدداً مع من يرشده ليختبر صلابة إيمانه ومثابته للإلهامات التي يتلقاها. ولا بأس في أن يظهر المرشد معارضة شديدة لِمَا يقوله المسترشد لكي يختبر إصراره.

٢ - يمنع المرشد من ينال الظهورات عن إخبار الناس بها أو نشرها لكي يُدزم الظهور أو الإلهام في حيز من الحريّة والهدوء بعيداً عن ضغط الناس، ولكي يثبت المرشد من أنّ الظهور ليس نتيجة جيد شخصي بسبب إلحاح الشعب كما يحدث في «جلسات ما وراء النفس» التي تحدثنا عنها سابقاً.

٣ - أن يفرض على مُشاهد الظهور الطاعة، وبأمره بمواظبة عمله اليومي لكسب العيش أو نشاطه السابق: للظهور وكأنّ شيئاً لم يكن، إلا إذا كان في العمل السابق خطيئة. ففي الحاحه نداء ناسع نداء الكبرياء الذي يتعبه الشيطان فتحاً في طريقه، نيسح الإنسان ظهورات مزبنة ليعطيه حظوة في عيون الناس ويدفعه نحو الساطل.

٤ - أن يستنير المرشد احتشاشيين في جميع فروع العلوم، وأن يسأل عن المسترشد من يعرفه من رفاقه وأقربائه وحيرانه وزملائه في العمل... وأن يحيط علماً بمسببه وبصنع الأسقف على جميع المعلومات التي يحصل عليها، إلا ما كان في مقدّمه سرّ الاعتراف.

### شروط يستحسن أن تتوافر في المشاهد

هذه الشروط ليست لازمة ليل الظهور، فالله يحبّ الصالحين والخطاة ويمطر السماء على الأبرار والأشرار. لكن انتشار ظهور ما علنياً يفرض أن تتوافر في المشاهد محال تكون قدوة للأحرار:

١ - أن يتشع المشاهد بالأثران العقلي والتواضع والطاعة والثبات وعدم الانحياز

والصراحة والسلوك الحسن، خصوصًا بعد نيله الظهور. لأنه لا يمكن لعمل الله أن يتحقّق تمامًا دون أن يولّد ذلك تغيّرًا في الحياة الروحيّة لمن يتلقّى الظهور. ورغم أنّ ماضي الشخص ليس سببًا في نفي إمكانية تلقّيه الظهور، هناك بعض العيوب الخاصّة التي يمكنها أن تكوّن عوائق لا يمكن تحطّيبها كعدم الصراحة، والميل إلى تضخيم الأمور، وعدم التحفّظ.

٢ - وإضافة إلى ضرورة مطابقة الإلزام مع عقائد الكنيسة وتعاليمها، فإنّه على مضمون الرسائل أن يكون مفيدًا وذا معنى وضروريًا. فالإلهام الشيطاني يُصنّف بسطحته وميله إلى النقد والقيام بأفعال عجيبة فارغة المعنى.

## ١٠ - الخاتمة

تُظهر الخبرة أن ظواهر ما فوق الطبيعة لا تنتشر إلا في أُنّام الأزمات. ومنذ صرخة صاحب الزامير حتّى العذراء المحاربة للشيوعيّة لدينا وجوه لأمر ما فوق الطبيعة لا عدّها لها ولا حصر. وهذا ما يجعل مهمّة تمييز المصدر الإلهي للظهور صعبة للغاية. ولذلك، فإنّ الوثائق الرسميّة للكنائس، خصوصًا الكاثوليكيّة، تلجّ على تقفّتين: قبول الكنيسة للظهور لا يعني ضمانها لمصدره الإلهي، والإيمان بالظهور هو إيمان بشريّ.

ويتميّز تعليم الكنيسة بين الإيمان البشريّ والإيمان الإلهيّ. فهذا لا يحثّ عن إثباتات قاطعة ولا يريد أن يثبت من الأمور لأنّه مبنيّ على علاقة حبّ بين الخالق والمخلوق في ديناميكيّة تجعل من الإنسان فردًا له دور مهمّ في هذه العلاقة. أمّا الإيمان البشريّ، فهو يعتمد على التثبت من الأمور وصحّتها من خلال مسيما مباشرة في سبيل هدف أسمى. فالفارق إذا بين الإيمان البشريّ والإلهيّ هو الفارق بين الوسيلة والغاية.

لقد رأينا أنّ قيمة ما هو فوق طبيعي لا تكمن في شكله المعجزيّ بل في العلامة التي يدلّ عليها. ولو صغّ لنا استعمال التعابير الفلسفيّة لقلنا إنّ الظهورات هي دالّات لا معنى لها إلا في المدلول. وعلى نحو مختلف الأفعال الثبوتيّة، فإنّ الظهورات لا تأخذ معناها إلا من خلال نعمة الله الفاعلة فيها. أي للظهورات

مكانة ثانوية في الإيمان، لأنها وسيلة تفقد معناها حين لا تصل إلى الهدف الذي تصبو إليه، أي حين لا تساعد المؤمن على التقدّم في حياته الروحية وعلاقته مع الله. وهذه المكانة الثانوية يحتمها الإيمان العقائدي: «طوبى لمن لم يروا وأمنوا» (ير ٢٠/٢٩). ولكن من متا يستغني عن الرؤية ويدبر لها وجهه ويقول إنني أفضل أن أومن بدونها؟ فإذا كانت الطوبى من نصيب من يؤمن دون أن يرى، فإنّ محبة الله تشفق على أصحاب النفوس الضعيفة وتعم عليهم بالظهورات.

### مراجع البحث

- B. Billet, *Vraies et fausses apparitions*, dans *Etudes Mariales*, Paris, 1986.
- J. de Guibert, *Leçons de Théologie spirituelle*, t.1., Apostolat de la prière, Toulouse, 1943.
- R. Laurentin, *Pèlerinages, Sanctuaires, Apparitions*, L'office d'édition, d'impression et de librairie, Paris, 1983.
- *Nouvelles*, Institut Catholique de Paris, n° 1, Février 1977.
- A. Poulain, *Des grâces d'oraison. Traité de Théologie mystique*, 12ème édition, Gabriel Beauchesne, Paris, 1952.
- J. de Tonquède, *Merveilleux métaphysique et Miracle Chrétien*, Centre d'étude Laënnec, Paris, 1955.